الفلسفة ونهاية التاريخ

دراسة لموقف العرب من منطق الاحتواء الدولي الجديد القديم

بقلم : د. علي حسين الجابري

استاذ فلسفة الحضارة . كلية الآداب . جامعة بغداد

اولا : نهاية التاريخ راسماليا :

ان دعوات (الجنوب) المستغل والمستلب ، لتحقيق التوازن في العلاقات الدولية السياسية والاقتصادية والثقافية ، لصالح الانسانية جمعاء ، قد انطقت رسميا من داخل الامم المتحدة ، اي من خلال مشروع اليونسكو في اقامة (نظام اقتصادي دولي جديد(١) وهي دعوات ضاعت بين ضجيج (الشراكة الدولية) الشمالية لواجهة التهديد (الجنوبي) للأمن والسلام الدوليين ، لاسيما وان هناك دولا (جنوبية) متشاكسة تشكل تحديا للارادة الدولية ، بسبب رعايتها للارهاب الدولي ، وحصولها على اسلحة فتاكة تهدد الحضارة والشرعية الدولية وحقوق الانسان من غير ان تتردد ابواق الاعلام الغربية في تسمية هذه الانظمة والدول في (افغانستان واثوبيا ، وكوبا والصومال ، وفلسطين ، والعراق ، وليبيا والجزائر ، وبنما وهايتي ، وايران والسودان) ... الخ

كل ذلك جرى ويجري وفق (سيناريو اعلامي) تم الاعداد له منذ

---

(١) د. يوسف نور عوض : نقد العقل المتخلف (دار القلم) بيروت ، ١٩٨٥ ص١٢ .

زمن ، في سياقات ، وتوزيع ادوار وحلقات ومراحل ، لم تكن بعيدة عن مشروعات (امبراطوريات المال والسلاح والاعلام) التي تحدثنا عنها في دراسة اخرى(٢) . تناولنا فيها تأثيرات المشروع الاجنبي على (الوطن العربي) بعامة والعراق بخاصة . منذ حرب ١٩٧٣ ودخول النفط في المعركة لصالح العرب .. وصولا الى (دعوت الشراكة الدولية العملية) لتنفيذ قرارات مجلس الامن (بقوة السلاح) ضد بلد (صغير) هو العراق ، من غير ان يفسح المجال لحل عربي لمشكلة العلاقة مع الكويت ، من جانب ، والتغافل عن رفض (اسرائيل) لعشرات القرارات التي اصدرها مجلس الامن بشأن حقوق الشعب العربي الفلسطيني الشرعية ، وعدواناتها على اقطار عربية عديدة مثل مصر ولبنان وسوريا والاردن والعراق وتونس وليبيا والسودان وغيرها ، من جانب آخر .

لقد اجتمع ـ على تنفيذ هذه القرارات ـ من الارادات والقوى والجيوش والعقول والاعلام والاموال ، ما لم تجتمع عليه الدول شرقها وغربها وشمالها وجنوبها ، لا حبا (بالكويت وتصحيته من اجلها) بل من اجل (المصالح) الرأسمالية الاستعمارية التي اعلنها الرئيس الامريكي جورج بوش مطلع عام ١٩٩١ . حين قال : قاتلنا في الخليج من اجل مصلحة دافع الضرائب الامريكي ، ولتخفيض سعر البانزين ، بل ذهبنا الى الخليج ، « لتصحيح خطأ الرب الذي اعطى النفط للعرب »(٣) ، حتى كان حفر الباطن) مركزا لتجمع (غير معقول) جاء تعبيرا عن شراكة ستأسف عليها

---

(٢) د. علي حسين الجابري : ام المعارك من منظور فلسفي حضاري ، مجلة أم المعارك (العدد الاول) كانون الثاني ١٩٩٥ ، بغداد ص ٦ ـ ١٧ .

(٣) جورج بوش : وكالات الانباء : قناة سي ان ان (تصريح) مطلع آذار ١٩٩١ ، مع شهادات شهود عيان في امريكا منهم المواطنة العراقية (اليس زابليون) ، حديث خاص مع الباحث يوم ١٩٩٣/٧/٢٥ في بغداد .

(امريكية) كتلك التي اجتمع فيها (زعار القبائل المشركة لقتل الرسول دول كثيرة في القادم من السنين ، لانها وقعت ضحية لعبة استعمارية محمد(ص)) . للتخلص من دعوته الاسلامية الانسانية ، وذهاب دمه هدرا بين القبائل ، هكذا ريد لدم العراقي والعربي ان يتوزع بين دول كثيرة ، تجنبا لتكرار (تجربة فيتنام المريرة لامريكا) لم ينج من هذه اللعبة الا الدول ذات القيادات العقلانية الواعية التي عرفت حقيقة ما يدبر ضد دول العالم الثالث من مخطط .

المهم ان الذي حدث على صعيد العلاقات الدولية تمثل بتحول الصراع بين (الدول الشيوعية والراسمالية) الى شراكة (غير معقولة) لمواجهة الخطر المشترك (الثالثي والعربي والمسلم) مما سبب مراجعة المقولات الفكرية والسياسية ، لافراد وجماعات وحركات واحزاب سياسية على صعيد الوطن العربي والعالم . وانتهى الامر بعد استكمال البرنامج (الامريكي ـ الاطسي ـ الصهيوني ـ الشرقي) الى (قتل المشاكس) من غير التصريح بدفن جثته ليكون عبرة لغيره من الدول الثالثية والمسلمة والعربية .

لهذه الاسباب راحت (المطابع) تغذي القارىء العربي بمضامين مئات الكتب التي تتحدث عن الصراع وطبيعته واتجاهاته واحتمالاته ... (بعد حرب الخليج الثانية) كما يسميها الاعلام الغربي .. لكن واحدا من اكثر الكتب رواجا واخطرها على العقل العربي ، جاء معبرا عن رؤية (ايديولوجية راسمالية ـ صهيونية) لا (النظام الاقتصادي الدولي الجديد) الذي سبق وطالبت به دول السبع والسبعين ! (المتخلفة) والفقيرة والمدينة ، بل نظام الكبار المعروف لقاصي والداني ، انه كتاب فرنسيس فوكوياما ، الذي يتحدث عن (نهاية التاريخ) ويعلن توقف

الصراع (٤) في صيرورة التاريخ الانساني .

لقد وجد هذا (المفكر المصنع) داخل مؤسسة (فلسفة السياسة الامريكية والفكر الصهيوني !) ـ نفسه منظرا في فلسفة التاريخ ومنطق الحضارة ، وهو يعلن (مع) بدايات تنفيذ (المشروع الامريكي في عهد الرئيس جورج بوش) ضد العراق ـ لكي يعود به الى عصر ما قبل الصناعة ! ومع بوادر تفكيك الاتحاد السوفيتي ، في عهد (غورباتشوف) ان الصراع قد انتهى لصالح (الطرف الراسمالي الليبرالي) بعد هزيمة الانظمة الشمولية في (العراق) والاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا وعموم المعسكر الاشتراكي الاول (عسكريا) بفضل الشركة الدولية التي قادتها الدول الليبرالية والثاني (ايديولوجيا) امام العقيدة الراسمالية وفكرها (البراغماتي) الميكافيلي الوضعي ! ليفتح الآفاق امام حقائق جديدة تقول :

١ ـ بتوقف الصراع بفضل الانتصار النهائي لمنطق الحياة الليبرالية الراسمالية واحتمال انبثاق الدولة الكونية الامريكية الوحيدة بعد ان اقتربت البشرية من اعتاب (شيخوخة الجنس البشري) ! التي تفرض عليها البحث عن (خاتم البشر) (٥) .

٢ ـ ان الخطر الشيوعي الذي كان يرعب (الناخب الامريكي) ودفع الضرائب لخزينة الدولة ، في غرفة نومه ، قد انتهى ، وان (مراكز الارهاب) قد تلاشت امام جبروت القوة الكونية للدول الشريكة في صنع النظام الدولي الجديد (٦) وتحقيق (فكرة) هيجل الفلسفية بـ (نيل التقدير والاعتراف)، في ثوبها الصهيوني (الذي ارتداه لاحقا كوجييف (الروسي المنشق) ليكون بذلك قناة الوصل التي استمد

---

(٤) فرنسيس فوكوياما : نهاية التاريخ وخاتم البشر . ترجمة حسين احمد امين (مؤسسة الاهرام للترجمة) القاهرة ١٩٩٣ ص٦٢ .
(٥) فوكوياما : نهاية التاريخ ، ص ١٣١ .
(٦) ايضا ، ص ١٣٥ ـ ١٨٥ .

منها فوكوياما تفسيراته الهيجيلية المضللة ! المتعسفة لاسباب سنذكرها لاحقا .

٣ ـ بشر بامكانية معالجة أوجه الضعف في الدول القومية من خلال فتح الابواب ليبرالية عالمية لتتيح قدرا كبيرا من الفرص للقيم الديمقراطية (٧) التي يحرص الغرب على شيوعها بين امم الارض .

٤ ـ ان منطق العصر يؤشر قيام (اتحاد سلمي) (٨) تتوفر فيه (لخاتم البشر) فرصة الحياة السعيدة والمتحررة ، التي تقوم على اكتاف الديمقراطيين الذين نذروا انفسهم لارساء الدعائم العالمية لنظام الاحرار ، حتى وان خاضوا سلسلة من الحروب الكبرى للروح(٩) والمادة ، بعد ان سقط (الدب السوفيتي) بسكاكين القريبين والبعيدين ، وبعد ان ادرك السادة ، ان (عبدا) سعيدا سيخدم الانتاج ويطوره ، افضل الف مرة من (سيد مترف) خامل .

ان لحظات الفوز الاكبر في (حرب الخليج) كما يحلو للغرب تسميه (تجمع حفر الباطن) و (لدون الثلاثيني ، بقيادة امريكا ومن جهات الدنيا الاربع ، قد استغلت ـ كما يرى فوكوياما ـ (فكرة الخطر) الذي يهدد (الحضارة الغربية) لذلك علن ، ولاول مرة ! ان لا برابره على الابواب (١٠) بل (حومات) تسعى لكسب ود الدولة الكونية الاولى خشية عقابها (الكوني) الذي قد ياتي على شكل (ضربات كتاوية) او حرمان من طاقة الخليج أو حرمان من أي مكسب آخر يمن به السيد الامريكي على شركائه او المتاجرين مع شركائه .

---

(٧) ايضا ، ص٥٣ ـ ٦٢ . كما يتحدث عن قوة الضعفاء والمصالح القومية (ص ٢٢٤ ـ ٢٤٠) .

(٨) فوكوياما : ايضا ص ٢٤٥ ـ ٢٤٧ .

(٩) المصدر السابق ، ص ٢٥١ ـ ٢٦٥ .

(١٠) فوكوياما : نهاية التاريخ ص ٨٦ ـ ٩١ .

هكذا جرى التبشير بعالم (الشراكة) الذي سرعان ما نجم عنه تداع لجدار برلين ! وتلاشي الانظمة الشيوعية ، وتفكك الاتحاد السوفيتي ويوغوسلافيا ، عبر (سيناريو) بشر به (علام منظم ومدروس) اكد وجهات النظر الامريكية التي تطوع فوكوياما بعرضها على القراء ! بعد ان جعل آراء كوجييف عن (التقدير ونيل الاحترام) مادة اساسية في ترسم مسار التاريخ وتوقف حركته ، وفي اطار (اطروحات) (مصنعة) لكانط وهيجل ونيتشه (١١) وغيرهم من فلاسفة اوربا في القرن التاسع عشر ، بطريقة فجة تلفيقية ياسة : ـ

أ ـ فالبشرية ـ في ظن كوجييف ـ قد وصلت بالفعل الى نهاية التاريخ مدفوعة بهاجس « نيل الاعتراف والتقدير » باعتباره اهم الاحتياجات (البشرية المعاصرة . فيقول « ان السعي وراء الاعتراف دفع التاريخ بعيدا عن المعركة الدموية الاولى ، وان التاريخ ينتهي عند قيام الدولة العامة والمتجانسة التي تنطوي على الاعتراف ان دعوات (الجنوب) المستغل والمستلب ، لتحقيق التوازن في الاعتراف يكتسب (بالديمقراطية) التي توفر للانسان قدرا من الاعتراف به يساوي ما تمنحه القومية والدين(١٢) .

ولا ندري كيف جاز لفوكوياما وضع العامل السياسي في مستوى العاملين (القومي والديني) مع ان لكل منهما دائرة تأثيره وعمقه وفعله .

ب ـ وعلى لسان (هيجل ـ كوجييف !) يعتقد (فوكوياما ـ كوجييف) « ن نهاية التاريخ تقوم في ظل دولة تحقق الانسجام بين الناس

---

(١١) د. مسعود ظاهر : حول نهاية التاريخ (مجلة الوحدة) المغربية عدد ٩٨ ، الرباط ، ١٩٩٢ ص ٣٨ ـ ٤٧ .

(١٢) فوكوماياما : نهاية التاريخ ص ٢٥٢ .

التنمية الاقتصادية (١٦) . وهو رأي استعاره من استاذه كوجييف ويسميه (بالمبرر العقلاني للتاريخ) معتمدا على امثلة من امريكا وتاريخها وواقع الحياة فيها (١٧) لا صلة له بالعالم خارجها .

٦ ـ واللافت للنظر في استنتاجات (فوكوياما) انه يبرر النزعة الاستعمارية تحت ذريعة (الحضارة الغربية) المشحونة بثورة التقنية وتقدم العلوم، وجميع ما من شانه تحقيق سيادة (لليبرالية)ونمط حياة الغرب و (امركا بخاصة) فى هدى رؤية (مكيافيلية) تتيح استخدام القوة والحروب والدمار ، وجني ثمارها العلميه والاجتماعية والثقافية(١٨) على حساب العالم الثالث . وهذه حقيقة يسجلها بنفسه : يقول فوكوياما : «وقد اضطر الاوربيون الى مواجهة العالم غير الاوربي كسادة مستعمرين فى البداية ثم كحماة لهم (من الشيوعية) أثناء الحروب الباردة ثم كنداد في عالم من الدول القومية ذات السيادة » (١٩) من غير ان يسحب هذا الحكم على (امريكا) ! .

٧ ـ فالتاريخ الحقيقي (الثمر) للخيرات والثروات عند فوكوياما كوجييف هو تاريخ العبد النشيط (كدول وافراد) الذي يعتبره مصدر كل تقدم انساني واجتماعي وتاريخي . التاريخ عنده هو « تاريخ لعبد النشيط »(٢٠) وبمعنى اوضح ان سيادة الدولة الكونية (الولايات المتحدة الامريكية) سيكون فى محصلته النهائية اعلان(عبودية العالم)اجمع لها وهي التي سوف تسوق العبيد سوقا لا لتحقيق احلامهم الزائفة . بل لتحقيق

---

(١٦) فوكوياما : نهاية التاريخ ، ص ٢٩٣ .
(١٧) ايضا ، ص ٢٩٤ .
(١٨) ايضا ، ص ٩١ ـ ٩٩ .
(١٩) ايضا ، ص ٢٤ .
(٢٠) فوكوياما : نهاية التاريخ ص ١٧٤ وما تلاها .

اكبر الثمار والمنافع والمكاسب من خلالهم ، انها الدولة (السوبر ـ امبريالية) بلغة النماذج الصارخة فى عالم السياسة و (الميتا ـ امبريالية) بالمصطلح الفلسفي الذي يتمحور عند السوبرمان ـ كفرد ـ و دولة الفكرة التي نادى بها نيتشة فى نهاية القرن الماضي ، وان اي حديث عن سيادة العبيد الحقيقية هو محض تزييف تاريخي يقصد به تبرير النزعة الاستبدادية لدولة الكونية التي هي على لسان « زرادشت نيتشة » اشد الوحوش لا مبالاة (٢١) .

٨ ـ وتتكشف حقيقة التفسير الفوكوياميّ للتاريخ وحركته المعاصرة فى حديثه عن (المجتمع الاسلامي) فيرى : ان مشكلاته ناجمة عن فشله فى الحفاظ على قوة تماسك المجتمع ، وتمثل تقنيات الغرب وقيمه ، (٢٢) ويستحضر في هذا المقام رأيا لهوبز يقول فيه (عن اسباب قيام الحروب) ، انها بسبب الدين : فالعامل الديني عند فوكوياما هو « عامل قيام الحروب » (٢٣) .

وبمنطق مستعار من نيتشه، يعتبر (المسيحية) آخر «ايديولوجيات العبيد الكبرى»(٢٤). وبمكان الباحث ان يخرج بكثير من استنتاج عن دوافع هذا المنظر وهو يبتهج بالسلوك (الايراني ـ الديني) ضد العراق (البعثي ـ اللاديني) ـ كما يقول فوكوياما ـ لكنه تعكز على الدين فى (غزوه لكويت) (٢٥) هكذا وقف فوكوياما يردد مقولات الاعلام (الامريكي ـ الصهيوني) عن احداث ٢ آب ١٩٩٠ وملابساتها الغربية المعروفة .

---

(٢١) ايضا ، ص ١٨١ ، وما تلاها .
(٢٢) ايضا ، ص ٢١٠ .
(٢٣) ايضا ، ص ٢٢٤ .
(٢٤) ايضا ، ص ٢٢١ ، وهامش ٢٠ معها .
(٢٥) ايضا ، ص ٣٠٢ وهامش ٨ ص ٣ .

٩ ـ اما القومية فهي ظاهرة حديثة حلت محل العلاقة بين السيد والعبد ولو قدر لها ان تكون قوة سياسية (دولة) فالواجب ان تضحى متسامحة (انسانية) شأنها شأن الدين من قبل(٢٦) الدين الذي استشهد قبل قليل برأي هوبز حين اعتبره سببا لجميع الحروب ، ثم يقف ليصادر حق النمو القومي ويلغي (نيل الاعتراف) جملة وتفصيلا بالنسبة لجميع القوميات الاخرى حين يقول (مهما حكمه): « ان كل القوميات الناضجة تمر اليوم بعملية تتريك »(٢٧) ، نسبة الى اتاتورك وكيف غير ابجدية امته الى لاتينية لكي يشبث بعجلة الحضارة الغربية فخسر الاتراك بذلك تراثهم ومقومات شخصيتهم الحضارية المتميزة ، بسبب التبعية والاغتراب .

وحين يتحدث عن العرب (ينسى جميع تنظيراته عن نيل التقدير) ويذم انظمتهم السياسية المشاكسة مثل «النظام العراقي البعثي». وغيره من انظمة يصفها بنعوت معروفة المنبت والمصدر ، حتى تشوب لغته رؤية صهيونية واضحة تنبع من النبع الامريكي(٢٨) . فهو يقول على سبيل المثال لا الحصر : « ورغم ان صدام حسين ادهش الكثير من اعدائه في استمراره في الحكم بعد انتهاء الحرب (يقصد العدوان الثلاثيني ١٩٩١) فأن مستقبله ووضع العراق كقوة اقليمية هما محل شك»(٢٩) . لهذا السبب وغيره تصدى لفوكوياما اكثر من

---

(٢٦) فوكاياما : نهاية التاريخ ص ٣٣٨ .
(٢٧) ايضا ، ص ٢٣٩ .

(٢٨) كرر فركياما ما روجه الاعلام الامريكي عن العراق وقيادته ، في متن الكتاب وهوامشه المعدلة وهي مسألة عرضنا لها في بحثنا : ام المعارك من منظور فلسفي حضاري . (مجلة ام المعارك عدد ١ لسنة ١٩٩٥ ص ١٨ ـ ٢١) .

(٢٩) فوكوياما : مصدر سابق ص ٢٩٩ وهامش ٢٠ فصل ٢ .

لانها تعترف العبيد بالسيادة » وتكون نهاية التاريخ من خلال اختفاء التناقض في العلاقة بين السيد والعبيد (١٣) ومتى ما قامت مثل هذه الدولة ، تحققت النهاية السعيدة .

جـ ـ وعلى رأي (توكفل) يعلن ـ فوكوياما ـ تحقق نجاح هذه الدولة بفضل التحسينات التي اجريت على الديمقراطية ، لتعن ـ بالتالي انتصار اسلوب الحياة الامريكية(١٤) وبذلك قلبت آثار الازمة الخانقة التي عاشتها امريكا ـ والراسمالية ـ في السبعينات بعد هزيمتها في فيتنام ، الى الضد من آثارها النفسية ، على الرغم من كونها هزيمة مفجعة لا تمحى من ذاكرة المجتمع الامريكي لسنوات طوال .

٥ ـ ولما كان حدوث اي فراغ فكري(١٥) وسياسي ، يحث على حركة متعددة الاتجاهات لاملائه ، يتحدث هذا المنظر عن (الفراغ) بلغتين

الاولى : حين يكون في (الجنوب) والعالم الثالث ـ النامي ، المتخلف ! يفرض هذا الفراغ حضورا شماليا فاعلا وسريعا ، بالليـن ، والشدة ! لاصلاح الخلل فخراب البيئة ـ عند فوكاياما ودهاقنة المال ـ ناجم عن الدول المختلفة لا البلدان الصناعية المتقدمة (الشمالية) ! وما تنفثه آلتها من سموم .

الثانية : حين يكون (الفراغ) في أوروبا، فالمنظار (الفوكوياميـ ـ الامريكي) يحكم على (النسبة الاوربية) باعتبارها اختراعا اوربيا سينزول معها الفراغ بفضل تزايد الانسجام والتوافق بين الحضارات والثقافات والشعوب بتأثير « اطراد التجانس بين البشرية نتيجة

---

(١٣) ايضا ، ص ٢٦٢ .
(١٤) ايضا ، ص ٢٧٠ .
(١٥) ايضا ، ص ٧٦ .

الحقيقة التي يتمسك بها هيجل عن التاريخ مرتبطة بالانسان ووعيه ودوره الحيوي واستجابته لارادة المطلق ، وما دام الانسان يعيش على هذه الارض ، لن يتوقف التاريخ او ينتهي ، نعم ، هنالك اهدافا مرحلية تشكل منعطفات كبيرة لهذه الامة او ذلك الشعب ، نسميها بداية مراحل جديدة ونهاية مراحل قديمة . هذا هو ملخص راي هيجل الذي بسطنا القول فيه، منذ عقدين من الزمن واكملناه في سلسلة الدراسات المقارنة اللاحقة مع نيتشه مرة ومع ماركس اخرى ومع ابن خلدون ثالثة(٣٣) و .. و .. الى هذه الدراسة التي بين يدي القارىء الكريم ، فهل اراد فوكوياما ان يقول لنا ان (مطلق هيجل الذي يستحث التاريخ) وسوبرمان نيتشه المستقبلي واخلاق القوة ، وتطورية داروين التي تستحث الاجناس لاصطفاء الاقوياء القادرين على الصمود، لاثبات وجودهم وقدرتهم على التكيف في عالم صاخب قد تجسدت في دولة الولايات المتحدة الامريكية باعتبارها الدولة الكونية رقم واحد في عالم ما بعد عام ١٩٩١ ؟ وهي رمز (سوبرمان نيتشه) الامبريالي و وسيلة الصهيونية في السيطرة على الاغيار من ابناء الامم الوضيعة ؟ هذا وغيره يكتشفه الدارس الفسفي وهو يتأمل بروتوكولات حكماء صهيون (٣٤) ونهاية التاريخ للمسيري بوثائقه الصهيونية الاصلية

---

(٣٣) د. علي حسين الجابري : فلسفة التاريخ (محاضرات القيت على دورة المدرسين في تربية السليمانية ، ١٩٧٩ ص ٤ و ٩ و ١٠ واجع ايضا : فلسفة التاريخ بين هيجل ونيتشه في المصادر العربية . (مجلة زانكو العلمية) مجلد ٥ عدد ٢ السليمانية ١٩٨٠ ٨٩ ـ ١١٠ وكذلك : فلسفة التاريخ بين التراث الخلدوني والفكر الاوربي المعاصر ، مجلة آفاق عربية عدد ١١ ـ ١٢ تموز واب ١٩٨٢ بغداد ص ٥١ ـ ٥٥ ، وكتاب فلسفة التاريخ في الفكر العربي المعاصر ق/١ بغداد ١٩٩٣ ص ٢٤١ ـ ٢٦٧ .

(٣٤) مجموعة من الصهاينة : بروتوكولات حكماء صهيون . النص العربي (تحرير فرس حسن شكر) بغداد ١٩٨٧ ص ٣٥ ـ ١٠٠ .

ونهاية التاريخ لفوكوياما من غير ان يجهد نفسه بالبحث عن دوافع كوجييف ومصادره الفلسفية المحرفة (٣٥) وهذا ما يفسر لنا تحامله على الدول النامية (الاسلامية والعربية) والعراق فيمقدمتها، فهو بيت القصيد من كل الضجة الراسمالية ـ الصهيونية التي ارادها الكبار للخروج من (طوق النظام الاقتصادي الدولي) المنشود الذي تطالب به الدول المتخلفة الى (النظام الدولي الجديد) الواقف على رجل واحدة ، عظم الساق فيها صهيونيا .

ثانيا : نهاية التاريخ صهيونيا : (المصدر الصهيوني لفوكوياما) :

ان الفكر العربي الذي تشرب بمؤثرات مختلفة ، لم يتلمس موطىء قدمه وهو يواجه جميع التحديات التي سلطت ثقلها على نقطة مركزية واحدة ، تخترق من خلالها (العقل العربي) برمته لتحيله الى تابع ضعيف لا يقوى على المحاكمة والمناقشة والاستنتاج . واعني بها نقطة (فقدان الثقة بالنفس) والوقوع تحت وطاة الاخر وممكناته العملية التي اشتغلت عليها مراكز البحوث الغربية والامريكية ـ الصهيونية في العقود الاخيرة من القرن العشرين ، لا العقلانية النقدية .

فالعقلانية العربية النقدية بفضل ادواتها المعرفية ومنهجها العلمي الشمولي ، كانت قادرة على سبر اغوار الفكر الوافد ـ مهما كان ـ معقدا والتعامل معه تعاملا (حيويا) فاعلا كما تكشفه عشرات الدراسات المتحققة على صعيد الساحة الفلسفية العربية ، ومن بينها الدراسة التي اعانتنا

---

(٣٥) رجع عن ذلك مفصلا ، اعتمادا على لوثاق اليهودية والصهيونية من العهد القديم الى اليوم في دراستنا لشمولية الموسومة : منطق الصراع في الفكر العربي المعاصر والبحث عن موقف فلسفي جديد (دراسة للفكر الصهيوني الاستعماري وتناقضه مع فكر النهضة العربية) (ملف معهد الدراسات القومية والاشتراكية) نحو فهم عربي لفلسفة التاريخ ، بغداد ١٩٩٣ ص٥٨ ـ ١٠٣ .

مفكر عربي(٣٠) كشف حقيقة روافده الفكرية التي لم تعد خافية على المدقق الفلسفي) فحقيقة دوافع فوكوياما في (نهاية التاريخ) واضحة وسر الترويج لهذا الكتاب معروف في الحقبة التي شهدت ذبح العراق (وطنا وشعبا) . فالكتاب من وجهة نظر فلسفية ـ نقدية ـ ينطوي على غرض ايديولوجي مكشوف لا تخفى هويته على رجل الفكر العربي(٣١) وظف لاغراض مكشوفة ايضا ، الى جانب مجيء احالاته الفلسفية الى مصادر يونانية واوربية حديثة ومعاصرة عن (افلاطون وارسطو وكانط وهيجل ونيتشه) مجزوءة ناقصة ، مشوهة ومحرفة ، قصدية ، الفت القيمة الفلسفية للكتاب ، فلا هيجل قال (بنهاية التاريخ) بالمفهوم الذي تحدث عنه فوكوياما ، ولا قصد ذات المفهوم (المطلق) ـ للدولة الكونية ـ كما يجري في زماننا هذا ، من حيث التجاوز على القانون والعدالة والحقيقة ، فالموضوع ، وظف لخدمة اغراض وخطط الحركات السرية (كالماسونية والصهيونية)(٣٢) وغيرهما ، لسيطرة على العالم .

---

(٣٠) مثل د. الياس فرح و د. صباح ياسين ومبروك منصوري وحسن طوالبة من سوريا والعراق والسودان وفلسطين) الى جانب مجموعة من الباحثين راجع عنهم (جريدة القادسية البغدادية يوم ١٩٩٣/١٠/٣٠) صفحة سياسة .

(٣١) د. مسعود ظاهر : حول نهاية التاريخ ، مجلة الوحدة (المغربية) عدد ٩٨ الرباط ١٩٩٢ ص ٤٤ .

(٣٢) تحدثت الصهيونية كثيرا عن نهاية التاريخ (وتحققها عند استكمال شروط اجتماع دعوة (الشعب المختار) بالهجرة الى (ارض الميعاد) ، وتحقق ذلك يعني سيادتها على العالم الرأسمالي وتوابعه من خلال الهيمنة على قرار الدولة الكونية (التي تعمل الماسونية من اجلها) لصالح اليهود . وكيف وظفت مقولات محرفة لهيجل وماركس ، ونيتشه وغيرهم لتحقيق هذه الفكرة . راجع عن ذلك مفصلا د. عبدالوهاب المسيري : نهاية التاريخ ، دراسة في بنية الفكر الصهيوني . (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) بيروت ١٩٧٩ ، ص ٤٢ و ٤٧ و ٤٨ و ٥٦ و ٧٢ وما تلاها .

على معرفة دوافع فوكوياما وارومته الصهيونية . وهي حقيقة لا نكتفي بالتنويه بها أو الاحالة عليها ، كما هو في دراستنا الاخرى بل سنقف هنا عند الفكر الصهيوني الذي سعى الى توظيف (المطلق الهيجلي) ليتحدث عن (نهاية التاريخ) باعتبار المشروع الصهيوني الجاري تنفيذه في (فلسطين العربية) انها دراسة الدكتور المسيري عن نهاية التاريخ الصهيوني(٣٦) اعتمادا على نصوص صهيونية (قديمة ـ جديدة) تتحدث عن :

١ ـ العصر المسيحاني(٣٧) : الذي يحل فيه السلام والكمال بفضل التقدم العلمي والحضاري لتحقيق الخلاص الانساني من غير الحاجة الى (عودة السيد المسيح ع) فأرض الميعاد كما يراها ـ بوبر ـ في دفاعه عن الصهيونية ومشروعها الاسرائيلي هي الارض التي سيجتمع فيها الشعب المختار والمسيح لينتظر الذي سيأتي بالخلاص لكل البشر في اخر الايام (خاتم البشر) هو الاخر بطل قومي (قومي) لانه سيجمع اليهود المشتتين في الارض التي سكنوها ، كما انه من نسل الاسرة المالكة اليهودية اسرة داود وسليمان (٣٨) . ويحقق لهم نيل (التقدير واعتراف الآخرين بهم) .

٢ ـ حلول المطلق الهيجلي في (الامة اليهودية) : هو نهاية التاريخ عند الصهاينة ، وغاية هذا الحلول تحقيق مجموعة اهداف منها :

أ ـ اقامة مملكة الله ودولته الكونية : « ان اله قد حل في الامة واصبحت اسرائيل مشبعة بروح الله بروح الاسم الاقدس»(٣٩) لكي تقيم مملكة الله على ارضه في نهاية المطاف.

---

(٣٦) د. عبدالوهاب المسيري : نهاية التاريخ ، ص ٧ ـ ٣٢ .
(٣٧) ايضا ، ص ١٤ .
(٣٨) المسيري : نهاية التاريخ ، ص ٤٥ .
(٣٩) ايضا ، ص ٤٦ .

جـ ـ ان المركزية الصهيونية ، تقوم على (دورية تاريخية) مغلقة تفصح عنها مقولات الفكر الصهيوني المتداولة اعلاميا والقائلة ان « ارض الميعاد .. هي مركز الدنيا » تحفظ للعالم توازنه .. و « اورشليم تقع في وسط ارض الميعاد ، و لهيكل يقع وسط اورشليم ، وقدس الاقداس في وسط الهيكل ، وتابوت العهد في وسط قدس الاقداس ، وحجر الاساس امام تابوت العهد ، وهذه النقطة هي مركز العالم انها المسيح المنتظر الجغرافي(٤٥) او ما يسمى بنقطة الاستقطاب في الفكر الصهيوني .

د ـ ترى الصهيونية ان جميع ما يجري من احداث وصولا الى هدفها يقوم على قاعدة حل التناقضات بطريقة هيجلية اساسها (تداعي حركة التاريخ) وليس حركته الواعية . الى ان يصل الى (مطلق خال من التناقض) الفكرة المطلقة او الدولة البروسية التي ارادها هيجل ، هي (الدولة اليهودية) التي عملت من اجلها الصهيونية وفق حياة هيجلية مثلية ـ كما يقول المسيري ـ لحل المشكلات و (ازلة العقبات) من خلال « رؤية التاريخ من وجهة نظر نهايته المطلقة » المفترضة مسبقا وهي ذات الفكرة التي اخذ بها (نحمان كروخمال ١٧٨٥ ـ ١٨٤٠) في كتابه دليل الحائرين هذه الايام) (٤٦). وكيف

---

(٤٥) ايضا ، ٦٠ .

(٤٦) شبه كروخال تذكيرا بكتاب دلالة الحائرين لموسى بن ميمون الاندلسي (١١٣٥ ـ ١٢٠٥م) الذي طبعه وشره د. حسين اتاي في انقره سنة ١٩٧٢ بثلاثة اجزاء وبمجلد واحد . (راجع صفحاته ١٩٩ ـ ٣٩٩) الكلاسية التي قال عنها ناشر المقدمات الخمس والعشرون منه (بشرح محمد بن ابي بكر التبريزي من رجال القرن السابع هـ / الرابع عشر الميلادي ، طبعة القاهرة ١٣٦٩هـ « اما كتابه دلالة الحائرين ، من بني قومه اليهود والاندلسيين » ، فقد =

ان جميع الامم تمر بدورات نمو ونضوج واضمحلال وموت ما عدا (الامة اليهودية) فهي تجدد نفسها بفضل حلول المطلق فيها(٤٧) .

وهو موضوع تحدث عنه (موسى هيس) في سياق (فلسفة سبت التاريخ) كناية عن تلك النهاية المنتظرة المعبرة عن النهاية المسيحانية للتاريخ(٤٨) . لهذا السبب راى الصهيوني الامريكي لويس دمبيتز برانديس (ت ١٩٤١) (النهاية السعيدة) متحققة في ارض الميعاد من خلال سياسة الارهاب والقتل والتشريد والبطش بالفلسطينيين لازاحتهم عن اراضيهم باعتبارها عملا مقدسا يعبر عن ارادة المطلق على راي بوبر(٤٩) اما سيركين فيرى اليهود في جميع ما يعملون في فلسطين ، انما يؤكدون كونهم حملة مشعل الليبرالية(٥٠) التي ابتهج فوكوياما لآن بانتصارها على الشمولية الفاسفية والسياسية .

هـ ـ ان دخول المطلق الهيجلي ـ كما تراه الصهيونية ـ في اليهود داخل التاريخ يلغي فكرة التقدم كلية وينهي فكرة الصراع « الذي يدفع التاريخ الى الامام »(٥١) اعتمادا على معادلات

الفه باللغة العربية وبالخط العبري .. خيفة من اليهود والمسلمين في آن واحد ، بعد ان جعل الدين اليهودي خاضعا لمبادىء ارسطو ومبادىء فلاسفة الاسلام (مثل) .. ابن طفيل وابن رشد (ص١٧).

(٤٧) د. عبد الوهاب المسيري : نهاية التاريخ (نصوص فلسفية صهيونية) ص ٦٢ .

(٤٨) ايضا ، ص ٦٣ .

(٤٩) ايضا ، ص ٦٥ ـ ٦٧ .

(٥٠) ايضا ، ص ٥٧ .

(٥١) ايضا ، ص ٨١ .

(مثاليـة) هيجلية تربط الله والشـعب والارض والدولـة والتاريخ(٥٢) باطار سياني (سياسي ـ ديني) مقصود يوظف الدين للسياسة لا العكس .

٣ ـ عالم اليوم والتقسيمات الصهيونية لدوله : قسم المؤتمر الصهيوني (السابع والعشـرين)(٥٣) المنعقد عام ١٩٦٨ دول العالم بحسـب اوضاع اليهود فيها الى ثلاثة انواع :

الاول : دول الاضطهاد والضيق (الدول العربيـة والاتحاد السـوفيتي) لاحل لمشكلتهم الا بالهجرة الفورية الى ارض الميعـاد خلاصـا من الفاشية .

الثاني : دول المتغيرات السلبية المحتملة (امريكا اللاتينية) ينصح بتنظيم الهجرة المدروسة منها ، خشية من الفاشية المحتملة فيها .

الثالث : دول العالم الحر (الليبرالية) لا هجرة ضرورية لانه وضع مقبول ليبرالي(٥٤) يتيح حرية الحركة على المحاور البعيدة .

٤ ـ اما محركات التاريخ التي يدفعها المطلق ، فلقد مالت الى لغة القوة والعنف ، نعم : فالعنف هو سـبيل (عـودة اسـرائيل) لا (ظهور السيد المسيح بلحمه وشحمه) وقد اتبـع مناحيم بيكن اسـتاذه جابوتنسكي في تاكيد اهمية العنف في التاريخ اذ يقول : « ان قوة

---

(٥٢) ايضا ، ص ٩٢ ـ ٩٥ .

(٥٣) مركز الدراسات الفلسطينية : الصهيونية : جزءان الاول والثاني ، (الاهرام ـ القاهرة ، ١٩٧١ ص ٩٨١ .
راجع د. عبد الوهاب المسيري : الايديولوجية الصهيونية ، دراسـة حالة في علم اجتماع المعرفة (عالم المعرفة ٦٠ و٦١) الكويت ١٩٨٢ (ق/١) ص٢٧٢ وما تلاها و ١٩٨٣ ق/٢ . (ص ٩٧ وما تلاها) .

(٥٤) المسيري : نهاية التاريخ ص ١٠٠ ـ ١٠١ تقارن مع ثلاثية فوكوياما ، وتعليق د. مسعود ظاهر : حول نهاية التاريخ ص ٤٤ .

التقدم في تاريخ العالم ليست السلام بل السيف »(٥٥) بعيدا عن منطق العقل .

وبهذا يتوافق السلوك الصهيوني في جميع حقب الحركة الصهيونية كما كشفته وثائق المؤتمرات الصهيونية الدورية القائمة على فكرتي (السبعة والعشرة)(٥٦) بين عامي ١٨٩٧ ـ ١٩٩٧ . مع خطط شركات السلاح وسياسات الصقور ومنطق القوة للدولة الكونية حاملة (مشعل الليبرالية والديمقراطية وحقوق الانسان) المعبرة عن ركيزة فلسفية اوربية خطيرة تخمرت مع القرن التاسع عشر اكدت لنا تأثر (بيرديشفسكي) بفكرة سوبرمان نيتشه ، لذلك نادى بتفضيل (اخلاق السادة على اخلاق العبيد والسيف على الكتاب) ويبتهج الليبرالي (الرأسمالي) الامريكي براندیس لروح العنف و (الشجاعة) التي غرستها الحركة الصهيونية في (الشباب اليهودي) وفي (جمعياته السرية) من الذين ارتكبوا المجازر ضد الشعب الفلسطيني ، لخصتها عبارة مناحيم بيكن في السبعينات « انا احارب اذن انا موجود »(٥٧) لنيل التقدير .

٥ ـ اما الاهتمام الزائد بالدولة الكونية الاولى فيتجسد في الفكر الصهيوني من خلال حول الطاق الهيجلي فيها مدفوعا بقانون داروني معروف هو (البقاء للاقوى) باعتباره (الاصلح) (٥٨) . وتجتمع الافكار الرأسمالية (البرجوازية الفلسفية) حول اسطورة (العودة الطبيعية

---

(٥٥) المسيري : نهاية التاريخ ص ١٠٥ ـ ١٠٧ واوسع منها في الايديولوجية الصهيونية ـ مصدر سابق .

(٥٦) محمد جمال الدين العوي : الصهيونية واسرائيل التتابع والرؤية المستقبلية ١٨٩٧ ١٩٩٧ . مجلة ام المعارك ، ع٢ ، بغداد ١٩٩٥ ، ص ٩٧ ـ ١٢٧ .

(٥٧) المسيري ، نهاية التاريخ ص ١١١ .

(٥٨) ايضا ، ص ١١٥ ـ ١١٦ .

والانسان الطبيعي) مع الجدل المثالي الهيجلي المسخر لاغراض سياسية آمنت (بالقوة) وسيلة في الوصول الى الهدف وصولا (مكيافيليا) عززته كتابات نيتشه وفخته عن القوة والمثالية القومية والارادة المطلقة والسوبرمان واخلاق السادة ذات الاطار الداروني وفكرة العود الابدي النيتشوية التي سيطرت على لب الصهاينة .. وصولا الى مجتمع (السوبرمان اليهودي الليبرالي) خاتم البشر الذي حل فيه اله(٥٩) ليؤسس الدولة الكونية التي تضمن نيل الاعتراف والتقدير لليهودي المنبوذ بين مجتمعات الارض . فهل عرفنا حقيقة موارد فوكوياما ونهاية التاريخ ؟ بعد ان ضمنت هذه الحركة وضعا دوليا يسمح على تشريد شعب فلسطين ويتفاضى عن جميع مخالفات (الدويلة) التي تحظى بالرعاية الكاملة من دهاقنة المال و لسلاح والنفط العالمية التي تبشر عالم الجنوب بسعادة العبد النشيط الذي يحرك التاريخ ويكون وقودا للحروب(٦٠) . اما السيد المهيمن على الدولة الكونية فهو عنوان النهب والاستلاب لاسيما لثرواتنا العربية ، وسيادتنا الوطنية والقومية فمتى ننال التقدير؟.

ثالثا : نهاية التاريخ ام منطق الصراع ؟

ان التطبيل للانتصار الامبريالي ، من خلال ترويج الكتب التي تخدم اغراضه الخفية ، واغراض القوى التي لا تريد للعقل العربي فسحة يلتقط بها الانفاس لكي لا يعالج مشكلات الانسان العربي والمجتمع العربي ؟ واشغال القارىء العربي بها وتقديمها بطريقة تسلب لبه

---

(٥٩) ايضا ، ص ١١٧ – ١٢٠ .

(٦٠) قد وقف ظاهر مليا عند حقيقة دوافع فوكوياما وهو يغض النظر عن الثرات الاشتراكية التى ما جاءت الا لتحرير الانسان من الاستلاب وتأكيد الذات المغيبة بفعل المشروع الراسمالي ، راجع عن ذلك ، مقالة حول نهاية التاريخ ، مجلة الوحدة المغربية ، الرباط ١٩٩٢ ع٩٨ ص ٣٨ – ٤٧ .

وتستولي على فؤاده ، جميعها تشكل تحديات (فكرية) تقف فى مقدمتها الدراسات المقدمة (ببراءة وحيادية) والمكتوبة بأقلام منظرين (غير امريكان او شرقيين امثال فوكوياما وسلمان رشدي وكوجييف وبوبر ، تفعل فعلها في عقول المتلقين من ابناء العالم الثالث ومنه وطننا العربي . وتبتعد بهم عن همومهم الحقيقية ، وكان العربي انسان لا يحق له ان يناضل من اجل نيل التقدير فى عصر اعترف للأخرين بهذا الحق . فأية مفرقة يعيشها العربي ويبيتها لآخر له ؟

ان تطبيق نظرية العبد النشيط ، على انساننا العربي يتجلى بتسخير قدراته العقلية والبدنية ، وسرقة ثرواته ، واستثمار مكامن القوة فيه ، مع الابقاء على عبوديته وضعفه وتخلفه ، وفقره ، لانه من الطرف الثاني ، انسان مشاكس ، مسحور بالارهاب ، ومشحون بعوامل الكره للعالم والحضارة والعلمانية .. مما يشكل خطرا على الحضارة والمتحضرين الذين وضعوا (الصهاينة) في مقدمة الجحفل الحضاري الذي يريد ان يتقدم وسط الجهل العربية الاسلامية الآسيوية والافريقية . مما يشكل تحديا للوجود القومي والديني .

تلك حقيقة مستقراة من (المصادر الصهيونية) نفسها فى نظرتها الى العقل العربي ، ولست من اختراع المفكرين العرب ، لاسيما بعد استكمال صفحة (العدوان العسكري المدمر ، والحصار الاقتصادي) القاتل ضد اكثر من بلد عربي والاسلامي كان العراق فى مقدمتها ، والمؤلم ان هناك من داخل (الفكر العربي) من دعا الى (الحكمة) و (التعقل) فى التعامل مع الاجوبة الاستسلامية المطروحة عربيا ودوليا من غير ان يكلف نفسه عناء السؤال عن ثمن هذه الدعوة ما دام (الآخر) لم يتعقل فى تعامله مع الحقائق العربية وبديهيات الحقوق الانسانية المشروعة وكأنه استساغ لعبة السير فى ركاب (النظام الدولي الجديد) الكاشف عن لا انسانيته ولا عقلانيته فى تعامله مع العالم الثالث

ومنه وطننا العربي الذي عانى وسوف يعاني من تسلطه واستلاب ثروته، وهذا هو دأب (الكبار) في تسخير الجنوب(٦١) لصالح الكبار في الشمال.

واخطر ما يهدد الفكر العربي والوطن العربي ، مخطط تمزيقه الى (كانتونات) عرقية ودينية ومذهبية واقليمية ، وفق مخطط مدروس أعد سلفا ، تعاونت فيه الصهيونية مع الدول الامبريالية الطامعة بثروات هذه الامة ، والساعية الى منعها من النهضة والتوحد والتقدم ، ويكفي دليلا على ذلك خطة عوديديتون المسماة (اسرائيل في الثمانينات) (٦٢) لاضعاف العرب فكرا واقتصادا وسياسة ومجتمعا ، ويبقى النظام الاقوى في (الشرق الاوسط) الكيان الصهيوني وحده حاضرا ومستقبلا (٦٣) .

ان دعاة (التعقل) المستسلم داخل الفكر العربي يتناسون حقيقة موضوعية معترف بها في العلوم المعرفة والانسانية ، ونعني بها الحقيقة القائلة ان منطق الاشياء يجري على ضوء طبائعها تنطبق هذه الحقيقة على (الفكر الصهيوني وتوجهاته) وعلى الفكر الذراعي الليبرالي الرأسمالي الغربي وعلى (الفكر العربي). تكشفها الصفحات السابقة مثلما تؤكد حركة الحياة في القرن العشرين صواب الاهداف المعلنة للعرب والداعية الى (الحرية والعدالة والوحدة العربية ، واحترام حقوق الامة وتحقيق الرفاه الاجتماعي واتاحة الفرصة للانسان العربي لكي يستثمر

---

(٦١) د. يوسف نور عوض : نقد العقل المتخلف ، بيروت ١٩٨٥ ص٢٥ ـ ٣٧ .

(٦٢) د. عبدالملك التميمي ، الاستيطان في الوطن العربي (عالم المعرفة (٧) الكويت ١٩٨٣ ص ٣٣٢ ـ ٣٥٩ ، ملحق رقم ٢ ، .

(٦٣) تسفي تايدور : صورة الحاضر والمستقبل (في الفكر الصهيوني) ندوة صحيفة عل هدشدار ، الصهيونية في١٦/١/١٩٩٢ ، بمناسبة مرور عام على العدوان الثلاثيني ضد العراق . ترجمها عن العبرية ، اياد محمد (مجلة شؤون سياسية) ع١ ك٢ بغداد ١٩٩٤ ، ـ ص١٣٨ ـ ١٤٩ ، شارك فيها عدد من المفكرين الصهاينة .

ثرواته ويعلن قراره المستقل ، ويخفف الفجوة بين الأغنياء والفقراء) وغير هذا كثير .

مكتبة قسم اللغة العربية
كلية الآداب

السؤال المطروح بين الكثير من المفكرين العرب حاليا وماضيا هو : من المستفيد من التشكيك بمصداقية هذه الاهداف ؟ وما هو القصد من حالة التيئيس التي يواجهها الانسان العربي ليل نهار عبر اعلام (منظم) يعزف على اوتار (متهرئة) ؟ .

والا ما هو مقدار (عقلانية) الوقف الذي يصادر الحق العربي في فلسطين في ذات اللحظة التي ينكر علينا حق رفض العدوان او استنكاره ؟ فما الذي تغير ـ وها نحن نقرأ بأناة الفكر الآخر ونقف على اهدافه تجاه وطننا وانساننا ؟ ـ لكي نطالب بتغيير مواقفنا وقناعاتنا كأمة ليس لها حق التعبير عن وجهة نظرها حول نفسها وحول مستقبلها ، وحول ما يبيت ضدها) لا نظن ان شيئا قد تغير من اهداف العدو وقناعاته الفكرية والسياسية . الذي تغير هو الوسائل ، في اطار منطق التعجيز (الفكري والنفسي والمادي) وعلى ضوء الرؤية الفلسفية الصهيونية ، التي عرفنا خلفياتها (النظرية) وها نحن نقف عليها بعد (ضرب العراق ومحاصرته) ومحاصرة ليبيا ، والسودان وتكرار العدوان على لبنان ، واختراق الشارع في الجزائر ، وارهاق ثورة اليمن ووحدتها الوطنية ،ولجم ثورة الحجارة ، وتهديد امن الاردن وتونس والمغرب ، وتأجيج الموقف العنصري المتطرف ضد المهاجرين الى الدول الاوربية ، تحت دعاوى (الخطر العربي والاسلامي) .

وجوهر هذا السلوك ، لا نخترعه ، بل نحدث عنه (اسحق رابين) و (شيفاي زلحي) داخل ندوة حوار في قسم الفلسفة جامعة بن

فوريون (٦٤) ـ في تل ابيب في تشرين١٩٩٣ ـ في اعقاب توقيع اتفاق غزة ـ اريحا . (ثمرة العقلانية العربية ، او قل اللاعقلانية العربية) في منظور الفكر الصهيوني ـ والذرائعي ، نورد خلاصة ما دار في الندوة المذكورة للقارىء العربي لكي يعرف ان (المتغيرات) موجودة فقط داخل (عقول العرب) اما الصهاينة فتحركهم ثوابت يتنافسون على تأكيدها في كل مناسبة . قال اسحق رابين :

١ ـ عن اهمية الاتفاق « كنا في الحروب السابقة نصنع شيئا في جبهات القتال ، ولكننا اليوم انتصرنا على التاريخ » وبذلك اقتربنا كثيرا من شعار ارض الميعاد كحقيقة ملموسة .

٢ ـ اما عن منطقات التعامل ومتغيرات المواقف والاحداث فقال : « اسرائيل أولا ، ذلك هو الهدف المركزي ولا تراجع في الثوابت مهما كانت الاسباب » .

٣ ـ وعن بروتوكول المصافحة مع (ياسر عرفات) اثناء توقيع الاتفاقية قال : « ليس مهما ان تكون انت البادىء في المصافحة أو الطرف الآخر ، لكن عليك ان تجعل يدك هي الاعلى ألسنا شعب الله المختار » .

٤ ـ ثم ينتقل لاستثمار الفلسفة في ميدان السياسة فيقول .
» على الرغم من صعوبة هذا الاختصاص فانني أتمنى ذلك خاصة ان الفلسفة اداة تأثير فاعلة تناغم طبيعة الانسان الشرقي المملوء تفكيره بالاساطير وحكايا الخيال » متناسيا (رابين) الاساطير التي يقوم عليها الفكر الصهيوني بأكمله .

---

(٦٤) اذاع راديو كولونيا الالماني وقائعها باللغة العربية في تشرين اول ١٩٩٣ . راجع نص الوقائع في (جريدة ثورة البغدادية) ليوم ١٩٩٣/١١/١ ، نص مقال الكاتب فاضل جويد عواد ، بعنوان : السلوك والنطق الصهيوني .

ثم طلب من المشتغلين فى الحقل الفلسفي نصائح للسياسيين تعينهم على ضبط تعاملهم مع (العرب) الشرقيين المتخلفين ، بما يترجم حقيقة الفكر الصهيوني(٦٥) والعقلية العنصرية التي ينطلق منها فى اطار ادارته للصراع ضد العقل العربي ، لذلك انبرى (البروفسور شيفاي زلحي) من قسم الفلسفة الشرقية يعرض نصائحه الكاشفة عن لفهم الصهيوني للعقلية العربية وطبيعة العربي واحصنة طرواده من دعاة الاستسلام : ـ

الاولى : قال « انك عندما تجعل الخصم يفقد ثقته بنفسه وبمن حوله .. تكون قد ابقيت جداره مشروخا ؟ » هكذا يتعاملون معنا .

الثانية : « اعتمد سياسة القفاز الناعم والعصى الغليظة » لكي تصل الى أهدافك ، بأسرع وقت ممكن .

الثالثة : « ان منطوق توازن لاشياء (يعني) ادراك الشيء ونقيضه » والتعامل مع المعارضين ، فى اطار سياسة احتواء الخصوم .

الرابعة : « ان من تدفعه الى الخطوة الاولى (باتجاه التسوية) تكون كسبت به المسافة كلها » .

الخامسة : (وهي بيت القصيد في هذا النص) « عليك ان تتذكر دائما ان الانسان الشرقي (يقصد العربي طبعا) عاطفي جدا ، فكن دقيقا عندما تتعامل مع العواطف ولكن عليك ان تحذر العقول دائما » وتحذر منها) . وهي سياسة معروفة عن الصهاينة تجاه العقول العربية ..

---

(٦٥) تحدث رابين عن اخطر التحديات التي واجهت كيانه قائلا « كانت حرب ١٩٤٨ لفقران لامتحان المصيري الاول ، اما حرب الخليج : فهو سيف ذو حدين .. « فعلى الرغم من علمنا المسبق بها وان من اهدافها تعزيز (أمن اسرائيل) الا انها كانت رهانا ذا حدين وان الذي يحدد ايا من هذين هو الموقف الدولي والموقف العربي . ولكنهما لحسن الحظ سارا لصالحنا . الم اقل لكم اننا ندخل الان الفردوس الذي كان مفقودا واصبح كل شيء لصالحنا فلا يوجد احد بعد الان يهدد امننا ... » . (المصدر نفسه) .

السادسة : « اذا كان دور (المناصرين لك من داخل الخصوم) قد انتهى فعليك ان تخلق ادوارا جديدة ولكن بنقود جديدة « فان رزمة جديدة من الدولارات هي الاغلى » من بين جميع الهدايا .

السابعة : عليك « ان تطور اساطة الترويض ذلك لان اكثر الاحتمالات تحققا هو مالا يمكن ان يصدق » .

وهكذا الثامنة والتاسعة وصولا الى العاشرة التي يقول فيها « ان مأساة الماضي هي اننا كنا نختار بين الاسوأ والافضل اما اليوم فلابد ان نختار الافضل دائما » (٦٦) .

وهكذا (حافظ) الاحدي الصهيوني للوجود العربي(٦٧) ، على ثوابته ومنطلقاته ، منذ قرن من الزمان الى يومنا هذا . مع ذلك نجد الآن بين العرب ، وبعد ذلك الشرخ الذي اصاب الجدار العربي من يتحدث عن (عقلانية عربية) كانت غائبة لا بد ان تحضر هذه الايام لكي نؤكد بها (تحضرنا) . ويطالب بتغيير المواقف والمبادىء والقناعات ، الى حد تسفيه اهداف الامة المشروعة ومبادئها القائمة على الحق والعدالة .

ولكن في(الخندق العربي)من المفكرين المتنورين الذين لم تغب عنهم الحقيقة القائلة بان الامور تسير بحسب طبائعها ، فالرأسمالية مستوى من النمو قاد الى الاستعمار ، وللاستعمار طبيعة استغلالية تقوم على النهب والسلب

---

(٦٦) د. شيناي زلخي : حديث في ندوة حوار فلسفي (جامعة بن غوريون تل ابيب – تشرين اول ١٩٩٣ ، نقلها راديو كولونيا الالماني الناطق بالعربية ونشرت في جريدة الثورة البغدادية يوم ١٩٩٣/١١/١ (مصدر سابق) .

(٦٧) اسحق شامير وجماعة اسرائيل والعدوان الامريكي على العراق (ندوة ذاعة الجيش الاسرائيلي المبثوثة بالعبرى يوم ١٩٩٥/١/١٦) راجع نصها العربي في مجلة ام المعارك ع٢ بغداد ١٩٩٥ ص ١٥٨ – ١٦٩ .

والعدوان ومصادرة حقوق الشعوب ومعاداة الحرية ، ولا يمكن أن نتصور في يوم من الايام تبدل هذه الطبيعة او التحول الى خندق نصرة الشعوب والدفاع عن حقوقها المغتصبة ، وما يجري في وطننا العربي من نشاط ودعم للصهيونية يؤكد هذه الطبيعة ، لكننا نعترف ان دهاء الخصوم قد يكون وراء (تغيير) الوسائل والاردية . اما الاهداف فثابتة بشهادة اهلها ، لانها تكشف عن جوهر الاهداف الذي يجري تحقيقها على حساب الحق العربي والوجود العربي والفكر العربي ، طول القرن العشرين .

لهذا السبب وغيره ، توجهت من بغداد ابحاث الندوة الفلسفية المنعقدة على هامش المؤتمر الفلسفي الثاني لجمعية العراق الفلسفية (التي تأسست عام ١٩٨٣) الى دراسة قضايا العقل العربي (حضاريا واجتماعيا) تراثا ومعاصرة لاسيما الذي تحدث فيه الدكتور يوسف حبي(٦٨) . والدكتور عبدالامير الورد (٦٩) . اما حديث كاتب هذه السطور فقد دار حول (العقل العربي بين الاستثمار والاستعمار) اعتمادا على مصادر متنوعة (غربية وعربية) كشفنا من خلاله تسخير (العقل والعلم) في الغرب المتحالف مع الصهيونية ومراكز البحوث ضد العقل العربي والقيم الاخلاقية التي تعزز وحدة المجتمع وتضبط سلوك الانسان . وبذلك وظف الباحث (الفلسفة) لمعالجة المشكلات المعاصرة التي يعاني منها انساننا ومجتمعنا والضمير العالمي المبرأ من اسباب الغزو والسيطرة والقهر ، فبهذا وحده تؤكد الفلسفة قربها من هموم الانسان وحرصها على تقديم اجوبة حية على المشكلات المتجددة .

---

(٦٨) قدم الدكتور يوسف حبي عن العقل الحضاري العربي في التراث القديم مشيرا الى عراقة هذا المجتمع .

(٦٩) الذي تحدث فيه عن مشروع توحيد العمر الانساني (الاجتماعي والعقلي والجنسي) على قاعة كلية الاداب جامعة بغداد يوم ١٩٩٥/٣/٢٤ .

وكان من ابرز التعليقات عن هذا البحث وغيره من بحوث الندوة ، الذي قدمه الدكتور الياس فرح ، استاذ فلسفة التربية ، بالضد من التوجيه المادي للعقل العربي الذي انطوت عليه آراء رابين وزلحي ، السابقين ، وتسفيههما للعقل الشرقي بعامة والعربي بخاصة .

لقد تحدث فرح عن (وحدة المنهج)(٧٠) الذي ينتظم هذه البحوث على الرغم من استقلالية كل بحث وباحث في العنوان والمضمون .. وخلص من هذا التحليل الى القول ان البحوث الثلاثة تؤكد على :

اولا : ان الحقيقة ليست مطلقة في مجال الانسان ، بل هي نسبية تتطلب البحث الدائب لكي نكتشفها باستمرار وندافع عنها بعبداية .

ثانيا : ان الذي طرح في الندوة الفلسفية البغدادية هذه ، يتعلق بقضية حية تجري في كل حضارة وتحتاج الى جميع هذه الموضوعات

ثالثا : ان ما يرده الفكر الغربي (الامبريالي) هو ان يكون تدميرا لحضارة الاخرى ، مما يتطلب وقفة عقلانية (مقابلة) تنسجم مع ما يطلق عليه في عالم اليوم اسم (المعرفة الحضارية) . نعم فالمعركة اليوم معركة حضارية (مفروضة علينا) ومن المؤسف ان الحجم الاكبر من ما ينتجه (العقل والعلم والمعرفة التقنية) هو في حوزة من يخطط لتشويه الانسان تشويها كاملا ، وتهديد مصيره ، وتشويه العقل البشري ومنطلقاته الفطرية ، والوصول بالانسان العربي الى قطع الصلة بخيط الزمن لكي تتهشم وحدة العالم والحضارة والمجتمع في عالم اليوم والغد .

رابعا : ان هذه المعركة ـ لاسيما التي تعيش الامة العربية ، تفصيلاتها كل يوم ـ معركة حضارية تحتاج منا الى وعي (عميق) لابعادها

---

(٧٠) د. علي حسين الجابري : سياقات التفكير والدراسة في هذه الحقبة من تاريخنا ـ كما يراها د. الياس فرح ـ جريدة العراق ٩٥/٦/٢٤

تتجاوز به اطر الاطروحات السياسية ، لتكون وسيلة لفعل يجدد وعي امتنا والانسانية ويحثها على التمسك بالقيم التي اصبحت مهددة بفعل هذه المعركة الحضارية لمعادية لكل ما هو انساني واخلاقي.

خامسا : ان الغرب (والصهيونية) ليس استعمار فحسب ، هو استعمار وحضارة تستجيب لرغبات القوى المهيمنة فيه ،هو طريق حضاري خاص به ، هذه الحقيقة تفرض علينا ، ان نطرح سؤالا فلسفيا : ما نحن وسط هذا الكم الحضاري الغربي الهائل ؟ هل نهضة الغرب هي نهضة لنا ؟ ونكتفي بمنجزاته (المادية) أم لابد لنا من صوت خاص بنا ؟ تلك هي المسألة تدخل صلب الدور الفلسفي المنشود في هذا العصر الصاخب .

سادسا : وحقيقة اخرى : نحن امة عانت من قطيعة معرفية واذى لعقل طوال سبعة قرون من التخلف والانقطاع حتى كادت معالم هويتنا الحضارية تضيع ورسالتنا تغيب في صخب الاحداث ، فما هي هويتنا ؟ وما هي رسالتنا الحضارية اليوم ونحن نواجه الهجوم المادي على كل ما هو انساني ، بالصبر والجلد والحكمة والايمان.

سابعا : ان مهمة المشتغلين في الفكر الفلسفي كبيرة وخطيرة تتطلب جهدا مستمرا كجهد لسلف الاسلامي الاول ، ويقظة عقلية ودقة علمية تتسع وتتعمق كلما اشتدت الازمة وتصاعدت وتائر الاستلاب والعدوان على هذا المجتمع الذي يفتش له عن دور حضاري جديد في القرن القادم فهل ادرك القارىء الكريم الفرق الكبير بين العقلانية العربية (الحوارية) والعقلانية العنصرية (الصهيونية والامريالية) ؟ مجرد سؤال ؟ .. يهدم جميع مقدمات نهاية التاريخ ودعاته والمستسلمين له .